روسيا: إمبراطورية الهجوم المضاد
تأكيد عودة روسيا

جان فرانسوا فيورينا
ترجمة: محمد الجرطي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

روسيا: إمبراطورية الهجوم المضاد[1]
تأكيد عودة روسيا

جان فرانسوا فيورينا

ترجمة: **د. محمد الجرطي**

1- **Comprendre Les Enjeux Stratégiques Note hebdomadaire d'analyse géopolitique de l'ESC Grenoble. 19 décembre 2013**

«L'empire contre-attaque»

La confirmation du retour de la Russie

Par Jean-François Fiorina, Directeur adjoint de Grenoble Ecole de Management Directeur de l'ESC Grenoble - France

في غضون ستة أشهر فقط، فرضت روسيا نفسها باعتبارها إحدى الدول الفاعلة بقوة في الساحة الدولية. مدافع دائم عن الحريات المدنية في قضية سنودن، بطل المفاوضات المتعددة الأطراف في الأزمة السورية واليوم الحكم في مصير أوكرانيا، استطاعت موسكو الاستفادة في الآن نفسه من أوراق قوتها وضعف شركائها الدوليين. وريثة دبلوماسية فظة لكن ضعيفة منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، تطمح روسيا إلى استعادة مكانتها كقوة عظمى، يقول جاك لوفسك، الباحث في جامعة كبيبك في مونتريال، في صحيفة لوموند ديبلوماتيك. إذا كانت السنة الماضية أظهرت بالدليل القاطع أن روسيا تمتلك الإمكانيات لتحقيق تطلعاتها وطموحاتها، فمن الضروري أن نتساءل – بعد النجاح الدبلوماسي الروسي - حول الأهداف البعيدة المدى للسياسة الخارجية للكرملين. بعد الانفتاح الباهر، كيف ينوي قادة السياسة في روسيا في «رقعة الشطرنج الكبرى» استغلال امتيازاتهم؟ ما هي عقيدة السياسة الخارجية لروسيا المعاصرة؟ ما هي التناقضات الداخلية التي تصطدم بها؟

منذ صيف 2013، أحرزت روسيا نجاحاً دبلوماسياً كبيراً، يعود على حد سواء إلى القوة الفعلية لروسيا وكيفية استثمار أوراقها الرابحة. أولا، في شهر غشت 2013 قدم فلاديمير بوتين اللجوء إلى خبير الإعلاميات الأمريكي إدوار سنودن، صاحب التسريبات المثيرة في أنظمة المراقبة الرقمية في وكالة الأمن القومي كما يقول جاك لوفسك. إذا كان الرئيس الروسي يتباهى بكون روسيا هي الدولة الوحيدة القادرة على مقاومة مطالب واشنطن، فإنه استفاد بشكل خاص من الذعر الأمريكي والمؤسسات الإعلامية الحساسة إزاء قضايا حرية الاتصالات والشفافية في تبادل المعلومات. ساهمت مثل هذه الأجواء في إبراز جرأة بوتين، سواء على الساحة السياسية الروسية كما هو الشأن في الساحة الدولية. بعرض بسيط في مسألة اللجوء السياسي لسنودن، أظهرت روسيا في موقفها على أنها دولة تحترم الديمقراطية عموماً، والحريات المدنية خصوصاً، وناقضت الرأي الغربي الذي كان يهاجمها حول هذا الموضوع في وسائل الإعلام الغربية. يتعلق الأمر هنا، باستغلال فرصة بشكل ماهر وقرار قائم على حسابات دقيقة.

2013، سنة روسيا

إن النجاح الحقيقي لبوتين، تمثل على نطاق أكبر بكثير، في الملف السوري. بفضل الوعد الذي انتزعه بوتين من الرئيس السوري بشار الأسد بتدمير، تحت رقابة دولية، جميع الأسلحة الكيمائية في سوريا، تخلى أوباما «مؤقتاً» عن القصف العقابي الذي كان يعتزم القيام به، كما يؤكد الباحث جاك لوفسك. هذه الوساطة ليست نتيجة لصدفة. تطمح روسيا منذ سنوات إلى استعادة دورها المحوري في الملفات الكبرى في الشرقين الأدنى والأوسط. بعد التدخل العسكري في ليبيا سنة 2011، أرادت روسيا أن تنتقم لنفسها من الغرب الذي اعتبرته خائنا لثقتها. مرة أخرى، استفاد الروس أيضاً من الضعف الأمريكي - المجبر بـ «الخط الأحمر» -

الذي وضعه الرئيس باراك أوباما – وانقسام أنصار التدخل العسكري كما اتضح من خلال رفض البرلمان البريطاني الاصطفاف في موقف المؤيد للحرب مع ديفيد كاميرون.

سيد الإيقاع في الصراع العالمي، حافظ بوتين بشكل مستمر على حريته في التصرف، وقاد اللعبة الدولية مرغماً شركاءه في الساحة الدولية على اتباع كل الحلول التي قدمها، كما يحلل في صحيفة لوموند ديبلوماتيك، أوليفيه زايك، الباحث في معهد الاستراتيجية والنزاع.

يمارس بوتين تأثيرا على نظام بشار الأسد معززاً حججه بفعالية وفق منطق بسيط: يتساءل بوتين، كيف يمكن لـ «ضربات محددة الأهداف ومحدودة في أمدها أن تخفف من معاناة الشعب السوري؟ إن الواقع يعزز فكرة عقد مؤتمر دولي للسلام. لماذا تطارد الولايات المتحدة حلفاءها الجهاديين في العالم أجمع، وتساعدهم في الذهاب من أجل القتال في سوريا؟ في هذه اللعبة الساخرة القائمة على سياسة الأمر الواقع، استطاعت روسيا أن تخدم الرئيس الأمريكي وتنتشله من مستنقع عمليات عسكرية كان يخشى القيام بها».

آخر التطورات بشأن القضية النووية تقدم أيضاً نفوذ كبير للكرملين. رئاسة أوباما تحت الضغط، مثل الحكومة الإيرانية، وتستعجل الإعلان عن التوصل إلى نتائج إيجابية. إذا كان الاتفاق الذي تم التوصل إليه مؤخراً في جنيف لا يزال هشاً، فإنه سمح لموسكو بأن تنصب نفسها على أنها لاعب رئيس في المفاوضات، وفي أن تطالب بالتخلي عن فكرة نشر الدرع المضاد للصواريخ في أوروبا. في الواقع، أكدت الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي باستمرار أن هذا النوع من السلاح يستهدف إيران وقدراتها على الردع في المستقبل وليس روسيا كما يشتبه قادتها في موسكو. دعا فلاديمير بوتين بالفعل إلى تجميد هذا البرنامج بحجة أنه لم يعد ضرورياً في السياق الجديد لمكافحة انتشار السلاح النووي.

بشأن الملف الأوكراني أخيراً، تمكنت موسكو في نهاية المطاف في الحفاظ على مربعها السابق، بينما كانت أوكرانيا تستعد لحسم ترددها في الاختيار بين الشرق والغرب، قررت كييف تعليق محادثاتها مع الاتحاد الأوروبي في الوقت الذي كان من المزمع توقيعه قريباً. إذا كانت روسيا تستميت في الدفاع عن نفسها ضد أي تدخل في أوضاعها، فمن الممكن أن تأمل في الحفاظ داخل منطقة نفوذها على دولة تعتبرها جزءاً من هويتها الثقافية والتاريخية، حيث تدعوها للانضمام كعضو كامل العضوية إلى المجتمع الاقتصادي الأورو- آسيوي. لم تحسم روسيا الصراع بخصوص قضية أوكرانيا، وسيستمر الصراع بكل احتمالاته الممكنة.

قوة السياسة الخارجية لروسيا

لم تنتظر روسيا سنة 2013 لإعادة تأكيد دورها الدولي. إن الضربات الدبلوماسية الأخيرة التي حققتها السياسة الروسية هي نتيجة لإعادة تموضع مدبر منذ خمسة عشر عاماً. منذ نهاية الحرب الباردة إلى اليوم، لم تكن السياسة الخارجية الروسية عديمة الفعالية وفي حالة ركود. من قبل تحت قيادة ايفغيني بريما كوف وزير الخارجية 1996 - 1998 ورئيساً للحكومة حتى مايو 1999 أعادت روسيا بشكل جوهري توجيه سياستها الخارجية. «إن الاحترام الذي فرضه أحد قادة جهاز ك. جي. بي برؤيته الكلاسيكية في سياسة الأمر الواقع ودعوته إلى بناء نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب ترك أثراً دائماً» كما يؤكد ذلك يان برولت المحاضر في جامعة كبيك في مونتريال. أقام إيفغيني بريماكوف في الواقع قطيعة مع سياسة التقارب مع الولايات المتحدة التي ميزت السنوات الأولى من فترة ولاية الرئيس بوريس يلتسين. دعا بريماكوف إلى إعادة التركيز على المصالح الوطنية، وندد بالقطبية الأحادية الأمريكية. أعرب بريماكوف عن قلقه البالغ من تقدم حلف شال الأطلسي (الناتو) إلى الجوار القريب من روسيا. أصبحت روسيا تنظر إلى إدراج دول البلطيق، سواء داخل الحلف الأطلسي أو الاتحاد الأوروبي بمثابة اقتحام وتهديد غير مباشر لأمنها. عندما أصبح فلاديمير بوتين رئيساً لروسيا في عام 2000 كان بإمكانه الاعتماد على هذا الإرث لبناء عقيدة إحياء روسيا التي يسعى إليها وفقاً لأمانيه وتطلعاته.

خلال خطابه الأخير إلى الأمة في 13 ديسمبر 2013 أكد بوتين من جديد على إرادة روسيا في بناء اتحاد أوراسي يجمع جوارها القريب والتموضع كزعيم عالمي وليس كقوة عظمى تملي «على الآخرين كيف يجب أن يعيشوا». وراء انتقاد القطبية الأحادية الأمريكية، تدافع روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عن فكرة وجود عالم متعدد الأقطاب تتحمل بداخله روسيا «مسؤولية تاريخية متنامية، وليس فقط باعتبارها دولة ضامنة للاستقرار العالمي والإقليمي، بل أيضاً باعتبارها دولة تدافع باستمرار عن نهجها الأخلاقي حتى في العلاقات الدولية». لقد نوقشت طويلا السياسة الداخلية في روسيا، ولاسيما من خلال الدفاع عن القيم التقليدية (الأسرة، الكنيسة الأرثوذكسية...) التي تعتبر أساس القوة الروسية الجديدة. يؤيد الرئيس بوتين الرؤية القائلة «بنهضة حضارية سلافية - أوراسية في الآن نفسه (يان برولت) التي يتقاسمها مع جهازه الدبلوماسي والأمني». من الناحية الجيو- سياسية، يستمر تحديث الجيش وترسيخ الهوية الوطنية والدعوة إلى قفزة ديمغرافية، ركائز عديدة يعتمدها الرئيس بوتين لإرساء تحقيق في مدة زمنية قياسية أسس وأهداف السياسة الخارجية لروسيا الجديدة: أن تصبح روسيا إحدى أكبر القوى الإقليمية في عالم متعدد الأقطاب تلوح تباشيره في الأفق القريب.

روسيا: نموذج له حدوده أيضاً

يرى فلاديمير بوتين في الأحداث الأخيرة إشارة استراتيجية وفرصة مناسبة لا يجب إهدارها، كما يلاحظ الباحث جاك لوفسك. عززت الانتصارات الدبلوماسية الروسية ثقة الرئيس بوتين وجعلته يطمح إلى لعب الكثير من الأدوار الكبرى وترسيخ نفوذ روسيا. بقدر ما يخيف بوتين الكثيرين، بقدر ما ركب أيضاً الكثير من المخاطر. إن بوتين مطالب في الواقع الآن بتغيير الوضع في سوريا بشكل إيجابي، خصوصاً وأنه تكفل بالتحييد الفعلي للترسانة الكيمائية. كما أنه مطالب بأن يقدم لدول «الاتحاد الأوراسي» آفاقاً جديدة غير العودة التقليدية للإمبراطورية الروسية؛ لأنه «إذا تقاسمت مع روسيا الدول الناشئة عقب انهيار الاتحاد السوفياتي نفوذ المذهب الأوراسي القاري الذي يتطلب بأن تشكل هذه الدول مجتمعة قارة لمواجهة القوى البحرية العالمية بقيادة أمريكا، فإن الأساس المحتمل لا يحظى بإجماع بمجرد ما يتم النقاش في الآليات العملية لتنفيذ هذا المشروع». حتى داخل الحدود الروسية، فإن عقيدة أوراسية «ليست واضحة للتصالح مع كراهية الأجانب المعادية للأتراك» والراسخة بشكل جلي. وأخيراً، فإن فلاديمير بوتين مطالب بحكم المنجزات التي حققها مؤخراً والرمز الذي أصبح يجسده أن يحقق نجاح مثالي في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في سوتشي - النجاح الذي لا يريده خصومه، خاصة الشيشان... والأهم من ذلك، إن رؤية بوتين لروسيا قوية في المستقبل تصطدم بضعف بنيوي شديد. روسيا هي إحدى الدول النادرة في العالم التي تخسر فقط في حساب مؤشر التنمية البشرية، وعائدات النفط ليست مضمونة على الإطلاق لتمويل التجديد الصناعي، حيث يلوح في الأفق دوما خطر «المرض الهولندي في الاقتصاد» بسبب الخلل في الموارد الطبيعية وانخفاض قطاع الصناعات التحويلية. وأخيراً، إن الرؤية القائمة أساساً على الشرعية في العلاقات الدولية لها حدودها في زمن القوة الناعمة. لتقديم نموذج مضاد ضد «أمركة العالم» يتعين على روسيا أن تتعلم كيف تحلم.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021